دور المعلـــم في مواجهة اختراق العولمـة لمنظومة القيـم

د. محمد مسعود شلوف
قسم التربية وعلم النفس– كلية الآداب
جامعة طرابلس

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تغيرات سريعة ومتنامية على أصعدة عدة؛ اقتصـادية وسياسـية، وثقافية، وأيديولوجية، فضلاً عن التغيرات السريعة في مجال الاتصال والإعلام، ولقد تجسـدت تلك التغيرات فيما أُطلق عليه "ظاهرة العولمة". وعلى الرغم من الجدل الذي أثير حول معنـى العولمة ودلالاتها وأبعادها المختلفة إلا أن ثمة اتفاقاً بين معظم الباحثين والمهتمين على اختلاف تخصصاتهم العلمية وتوجهاتهم الفكرية والنظرية والأيديولوجية على أن العولمة أصبحت تمثـل واقعاً ملموساً تعيشه جميع المجتمعات المعاصرة على اختلاف مستويات تقدمها وتطورها. كمـا أن هذه الظاهرة تتضمن جوانباً وأبعاداً مختلفة تتسم بالتداخل والتشابك، وأنه من الصعوبة فهـم

وتحليل أي منها بمعزل عن الأبعاد الأخرى. وتتمثل تلك الأبعاد في: البعد الاقتصادي، والبعد السياسي، والبعد الثقافي، والبعد الاجتماعي، فضلاً عن أبعادها التكنولوجية والمعرفية.

وتستخدم العولمة أدوات ووسائل جديدة لتفعيل دورها على كافة الأصعدة والمستويات. فعلى الصعيد الإعلامي تحاول عن طريق الشركات الإعلامية العالمية أن تتحكم في إنتاج المواد الإعلامية التي تبثها وتوزيعها من خلال الأقمار الاصطناعية إلى كل دول العالم بهدف فرض ثقافة خاصة واعتبارها الثقافة الكونية التي ينبغي أن تسود على المستوى العالمي، ومن ثم تحطيم الثقافات القومية والمحلية وتدميرها، أو العمل على إضعافها وتهميشها بمختلف الوسائل والأساليب. وعلى الصعيد الثقافي، يمكن القول إن البعد الثقافي للعولمة قد أحتل اهتماماً كبيراً بالدراسات والبحوث التي اهتمت بتحليل الظاهرة شأنه شأن الأبعاد الأخرى: الاقتصادية والسياسية. وتبدو خطورة هذا البعد في تأكيد أحد المفكرين أن الثقافة سوف تصبح واحدة من أهم وأبرز الآليات الفاعلة في المجتمع الكوني، وأن الثقافة ستصبح من أهم مصادر القوة في عصر المعلومات[1].

ويلاحظ أن التغيرات السريعة التي شهدتها نظم الاتصال والإعلام – ومازالت تشهدها – على المستويات الثلاثة : العالمية والإقليمية والمحلية، قد لعبت ومازالت تلعب دوراً مهماً ومؤثراً في نشر العولمة وتجسيدها على مستوى دول العالم بشكل عام، وما يرتبط بها من تغيير في منظومة القيم الاجتماعية والثقافية، ومن ثم التأثير على مستوى الوعي الاجتماعي والتربوي والثقافي، وما يعكسه ذلك من ظهور أنماط سلوكية جديدة تختلف عن تلك التي كانت سائدة خلال عقود ما قبل انتشار الظاهرة بهذا المستوى. ومن ثم يمكن القول إن ظاهرة القنوات الفضائية وشبكة المعلومات الدولية قد أحدثت ثورة في مجال الاتصال والإعلام ليس فقط على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، ولكن أيضاً على الصعيدين الثقافي والأيديولوجي، فضلاً عن انعكاساتهما الواضحة في المجالات السياسية والبيئية. فالتطور السريع الذي تشهده نظم البث

القضائي المباشر قد أسهم بدرجة كبيرة في ربط دول العالم جميعها، كما أنه أسهم أيضاً في إزالة العوائق والحدود الجغرافية والسياسية والأيديولوجية والزمانية بين دول العالم كافة وأدى إلى أن أصبح العالم قرية عالمية على حد تعبير بعض المفكرين والمحللين.

والواقع أن المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع الليبي خاصة تتأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بالتغيرات العالمية الحادثة على كافة المستويات، ومنها تأثير الإعلام العالمي فيما يتعلق بحجم ومضمون الأعمال الفنية المقدمة من خلاله على اختلاف أشكال هذه الأعمال وأنماطها (أفلام، مسلسلات، برامج، أخبار). ونظراً لأن تلك الأعمال تحمل مضامين وأفكار لا تتناسب وخصوصية مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فإن تأثيراتها السلبية تعد خطيرة ليس فقط على المستويين الشخصي والأسري، ولكن أيضاً على المستوى المجتمعي. ولذلك فالأمر يتطلب اتخاذ الإجراءات والتدابير الملائمة لضبط عمليات استقبال تلك البرامج وانتقاء ما يتناسب منها والخصوصية الثقافية للمجتمع العربي الليبي، وبخاصة إذا ما وضعنا في الحسبان التطورات السريعة التي تشهدها نظم الاتصال والإعلام العربي، وبخاصة القنوات الفضائية ذات التأثير القوي والفعال على قطاع كبير من المشاهدين خصوصاً الشباب منهم، وأن تلك النظم لا تنفصل – بحال من الأحوال– عن الإعلام العالمي بكل ما يبثه من رسائل إعلامية ذات مضامين متعددة.

ونظراً لأن الورقة الحالية تهدف التعريف بدور المعلم في مواجهة اختراق العولمة لمنظومة القيم، لهذا نرى أن الفهم الحقيقي لهذا الدور يتطلب أن ضع في حسباننا بعض الأمور منها: أن القنوات الفضائية العربية والليبية ليست منعزلة عن الإعلام العالمي، وأنها تتأثر به بشكل مباشر أو غير مباشر. كما ينبغي أن نضع في الحسبان أيضاً أن الاختراق القيمي والقيم التي تقدم من خلال القنوات الفضائية التي تستهدف فئات الشباب بصفة خاصة، تعد قضية من

أخطر وأهم القضايا التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية بصفة عامة، والمجتمع الليبي خاصة، وذلك لما لها من انعكاسات سلبية كثيرة على البنية الاجتماعية والنفسية.

إننا نرى أن الاختراق يشكل خطورة أشد من خطورة التبعية، تلك التي تنتج عن الهيمنة الاقتصادية، والاستتباع السياسي، وذلك بحكم التقدم التكنولوجي الهائل، وتفوق البث الإعلامي والثقافي عبر الأقمار الاصطناعية لدى دول المركز، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية في الغالب بقيادة العالم، وتكريس استراتيجية ثقافية جديدة، تثقل كاهل الدول النامية، وليحل الاختراق محل الاستتباع[2].

وغني عن البيان أن دور المعلم التربوي له علاقة وطيدة بالثقافة، وأن التعليم بحكم مهمته الثقافية ليس بعيداً عن عناصر هذه الثقافة، وما يتهددها داخلياً وخارجياً(محمد سيد محمد، 1994: 119-120).

أولاً: منطلق الورقة:

تمثل ظاهرة العولمة أحد وأهم الضغوط على الخصوصية الثقافية في هذه الأيام، هذه العولمة التي تطمح إلى وحدة العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً في ثوب مثالي، إلا أن هذا التوجه يخفي وراءه الكثير من المخاطر والنوايا غير الحسنة، والتي تجعل ثقافة شبابنا هدفاً سهلاً لمحاولة الاختراق الثقافي، وسط الآراء والتوجهات المتباينة بين الرفض والقبول.

وذلك يطرح تساؤلات لا يمكن الهروب منها أو إرجاؤها، فثقافتنا مرغمة على مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة، والتعامل معها من موقع التفاعل الإيجابي أخذاً وعطاءً، لا من موقع الرفض المطلق، أو استهلاك النتاج الثقافي للآخرين.

وفي الوقت الذي يعتبر فيه التعليم أداة رئيسة لمواجهة محاولات الاختراق القيمي، يلاحظ أن التعليم بوضعه الحالي لم يعد قادراً على هذه المواجهة، بل صار مدخلاً من مداخل

هذا الاختراق، الأمر الذي يستوجب إيجاد صيغة يتكامل فيها التعليم مع الثقافة، ليؤدي دوراً كاملاً في بناء المواطن، ذلك أن الوضع الحالي يفتقر إلى هذا التكامل وذاك التنسيق.

هذا ويمكن صياغة منطلق هذه الورقة في التساؤل الرئيس التالي:

- أين المعلم بأساليبه وممارساته من ظاهرة الاختراق القيمي؟
- ولعل الإجابة على هذا التساؤل، تقتضي الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:
- ماذا نعني بالاختراق القيمي ؟
- ما أهم التحديات المعاصرة، التي تساعد على ترسيخ ظاهرة الاختراق القيمي؟
- ما أهم الملامح التي تميز واقعنا التعليمي في علاقته بظاهرة الاختراق القيمي؟

ثانياً: الأهمية والأهداف:

تنطلق هذه الورقة في أهميتها وضرورتها من تناولها لمفهوم الاختراق القيمي، وتحليل أبعاده وآلياته، في ظل العولمة، وتبين دور المعلم في مواجهة هذا الاختراق.

ومن ثم فإن هذه الورقة تستهدف إلقاء الضوء على مفهوم الاختراق القيمي وتبين أبعاده وعوامله الضاغطة، وطبيعة علاقته بالمعلم والتعليم، وكذلك الوقوف على أهم التوجهات والمنطلقات الاستراتيجية التي يمكن الاستناد إليها في عملية المواجهة تعليمياً.

ثالثاً: مصطلحات الورقة:

1- العولمة Globalization:

العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في

إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد[3](محمد سيد محمد، 1994: 68- 72).

ويعرفها مصطفى محمود فيقول: " العولمة مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ الوطني من وطنيته، وقوميته، وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، بحيث لا يتبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى.

2- القيم Value:

إن القيم هي معيار عام ضمني أو صريح فردي أو جماعي يعتمده الأفراد والجماعات في الحكم على السلوك الاجتماعي قبولاً أو رفضاً، فالقيم مقاييس اجتماعية وخلقية وجمالية تقررها الحضارة التي ينتمي إليها أفراد المجتمع وفقا لتقاليد المجتمع واحتياجاته وأهدافه في الحياة[4].

كما تعرف القيم على أنها مجموعه من مبادئ وضوابط سلوكية وأخلاقية تحدد تصرفات الأفراد والجماعات ضمن مسارات معينه إذ تصبها في قالب ينسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع[5]. لذا فالقيم هي نوع من المعايير السلوكية والأخلاقية التي ترتبط بمعايير أخرى يحددها الإطار العام للمجتمع والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها والظروف الموضوعية والذاتية المحيطة به والمؤثرة في ظواهره وعملياته الاجتماعية.

3- الاختراق القيمي:

يُقصد بالاختراق هنا إجبار منظومةٍ قيمية منظومةً قيميةً أخرى على التعرّف على ذاتها من جديد وعلى إعادة ترتيب درجات سلّمها الخاص، كما تجبرها على إحداث بعض التغييرات في إطارها المرجعي. و يتخذ الاختراق القيمي في بعض الأحيان إجبار الشعوب المخترقة على

وضع قيمها أو بعض قيمها موضع تساؤل واستفهام وشرح؛ بغية تأويلها أو تجاوزها. إن القيم أشبه شيء بالصحة، نسأل عنها ونتحسّسها حين نشعر أنها باتت في خطر.

تعتمد هذه الورقة – وفقا لطبيعتها ومستهدفاتها– على وصف الظاهرة كما هي موجودة في الواقع بعد جمع البيانات اللازمة وتحليلها ومناقشتها؛ وذلك للتعرف على أهم أبعاد وجوانب ظاهرة الاختراق القيمي، والوقوف على طبيعة العلاقة بين هذه الظاهرة، ودور المعلم في نظامنا التعليمي في ضوء العولمة.

رابعاً: الحدود:

تقتصر هذه الورقة على تناول مفهوم الاختراق القيمي بالتحليل، وتبين مخاطر مثل هذه الظاهرة على خصوصيتنا القيمية، والقيم إذ تمتد علاقتها بكل منظومات المجتمع، بما يجعل مسؤوليتها يشارك فيها الجميع، وتُلقي الضوء على دور المعلم في مواجهة اختراق العولمة لمنظومة القيم.

خامساً: الإطار النظري للورقة:

نظراً لأن هذه الورقة تهدف التعرف على دور المعلم في مواجهة الاختراق القيمي، فإن الفهم الحقيقي لهذا الدور يتطلب أن نضع في الحسبان بعض الأمور منها: أن القنوات الفضائية العربية ليست منعزلة عن الإعلام العالمي، وأنها تتأثر به بشكل مباشر أو غير مباشر. كما ينبغي أن نضع في الحسبان أيضاً أن القيم التي تقدم من خلال القنوات الفضائية التي تستهدف فئات الشباب بصفة خاصة، تعد قضية من أخطر وأهم القضايا الاجتماعية والنفسية التي تواجه

المجتمع العربي بصفة عامة، والمجتمع الليبي بصفة خاصة، وذلك لما لها من انعكاسات سلبية كثيرة على البنية الاجتماعية والنفسية.

وعلى صعيد آخر، يمكن القول إنه في ظل النمو المتسارع للعولمة، بدأت الأدوار الجديدة للإعلام والاتصال المعاصر تبرز، فلم تعد تكنولوجيا الاتصال تشغل موقعاً مركزياً فحسب في شبكة الإنتاج الصناعي، بل بدأت أيضاً تشغل موقع القلب في استراتيجية إعادة تشكيل وبناء المجتمعات المعاصرة سواء في دول الشمال أم في دول الجنوب، وذلك بالترويج لمفهوم العولمة أو خلق ثقافة عالمية موحدة(6).

وسوف يتم تناول بعض المفاهيم بشيء من الإيضاح المختصر:

1- القيم :

القيم أحكام على الأشياء والمواقف، على السلوك بوجه عام، على الفكر أو الفعل أو الانفعال. هي أحكام تقويمية بالخير أو الشر بالخطأ أو الصواب، بالقبح أو الجمال، بالنفع أو الضرر. كما أنها أحكام تفضيلية أي اختيار وتفضيل لسلوك ما أو نشاط ما يشعر معه صاحبه أن له مبرراته بناء على المعايير التي تعلمها من الجماعة وخبرها في حياته المعاشة في علاقاته المختلفة من خلال الثواب والعقاب ودرجة الإشباع لحاجاته المادية والمعنوية المختلفة.

تعد القيم من المفاهيم الأساسية التي تستخدم في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتربوية. إنها تظهر في حياة الناس كمعايير وأهداف واتجاهات ودوافع تجسد الميل والنفور والاهتمام أو الرفض. وهي بذلك قناعة معينه أو رأي إزاء واقع مادي أو معنوي. وهناك من يعرف القيم على أنها جملة المرغوبات أي ما يرغب الفرد ويختار من أشياء مادية أو معنوية. ويرى آخرون بأن القيم هي مفاهيم لما ينبغي أن يكون مرغوباً من السلوك(7). علما بأن القيمة تتضمن قانوناً أو مقياساً له شيء من الثبات على مر الزمن، إنها تتضمن

دستوراً ينظم نسق الأفعال والسلوك. والقيمة بهذا المعنى تضع الأفعال وطرق السلوك وأهداف الأعمال على مستوى المقبول وغير المقبول أو المرغوب فيه أو غير المرغوب أو المستحسن والمستهجن[8]. لكن القيم التي يحملها الأفراد غالباً ما تنقسم إلى قسمين هما: القيم الأصيلة أو القيم الايجابية، والقيم الضارة أو السلبية. وكل نوع من هذه القيم يؤثر في سلوكيات الفرد تأثيراً واضحاً إذ تكون السلوكيات متجاوبة مع القيم ومنسجمة مع نصوصها وتعاليمها.

علما بان القيم الأصيلة أو الايجابية تتجسد في الشجاعة،والإيثار، والبطولة، والثقة العالية بالنفس، والنقد، والنقد الذاتي، والصبر الطويل، والتعاون، والإيمان، والمبدئية، والموازنة بين الحقوق والواجبات، والتكافل، والصدق، والأمانة بالمستقبل، والشهادة في سبيل الوطن، وحب الأمة العربية والإسلامية، والتضحية بكل شيء من أجلها، والمساواة، والتواضع، والابتعاد عن التكبر والغرور[9]. والجدير بالذكر أن القيم الأصيلة التي يتمسك بها الفرد تقود إلى رجاحة سلوكه، ومصداقية علاقته الإنسانية بالآخرين، مع قدرته على التكيف والاستقرار في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فضلا عن حبه وتقديره من الأفراد الذين يلازمونه إذ إنه مبدئياً في علاقاته وأصيلاً في أفكاره وجوهره.

أمّا القيم السلبية أو الدخيلة فتتجسد في الأنانية، وحب الذات، والفردية، والطائفية، والطبقية، والإقليمية، والتحيز، والتعصب، والكذب، والنفاق، والنميمة، والشغب، والرياء، والغيرة، والحسد، والاتكالية[10]. وهي من القيم المذمومة التي يرفضها ويدينها الجميع.

أمّا الافتقار إلى القيم هو إفلاس حقيقي قال تعالى﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(الملك : 22).

فغياب القيم معناه فقدان الرؤية، والوعي للمسار الصحيح مما يسبب التيه، والشرود.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول:

- إن القيم من المفاهيم الأساسية في جميع ميادين الحياة، وكافة جوانب النشاط الإنساني.
- القيم ضرورة اجتماعية باعتبارها معايير وأهداف نجدها في المجتمعات البدائية والمتخلفة والمتقدمة على السواء.
- القيم تتغلغل في نفوس الأفراد وتظهر في سلوكهم صراحة أو ضمناً، شعورياً أو لا شعورياً لأنها تعمل عند الناس كدوافع كما تعمل كأهداف.
- والقيم تكون صالحة أو غير صالحة، مستقرة أو غير مستقرة تبعاً لقدرتها على إشباع حاجات الناس وحل مشكلاتهم في مجتمع معين وزمن معين[11].

أ- بعض مصادر القيم:

أمّا مصادر القيم الأصيلة فهي الدين، والعادات، والتقاليد الاجتماعية، والمعطيات والظروف الاقتصادية والإنسانية التي يعيشها المجتمع. فالدين ينطوي على الكثير من القيم الأصيلة السمحاء التي تدعو إلى الخير والفضيلة والكمال والطهارة وتوصي بالصدق في القول والإخلاص في العمل ومساعدة الناس وعدم إلحاق الأذى والضرر بهم، وتريد نشر العدالة والحرية والمساواة بين الأفراد والجماعات كما تدعو قيم الدين إلى التواضع وعدم التكبر والابتعاد عن الغرور[12]. وقد أكد القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة في أكثر من موضع ومكان على أهمية القيم السمحاء في نمو المجتمع ورفعته وفي سمو الشخصية وتكامل عناصرها وتكيفها الذي توجد فيه وتعيش في أجوائه الحضارية.

ومن المصادر الأخرى للقيم الأصيلة في المجتمع العادات والتقاليد الاجتماعية. فالعادات هي أشكال وطرق التفكير والسلوك المستقر عند الأفراد والجماعات. وهي تصف الممارسات الروتينية للحياة اليومية، والأحكام الداخلة ضمن الروتين، والنماذج الحضارية المستمدة من

التصرفات المتكررة والمستقرة. أما التقاليد فهي مجموعة النماذج السلوكية التي ينبغي الالتزام بها من قبل الأفراد لما لها من أهمية تقليدية، واجتماعية، وحضارية بالغة في التفاهم والمودة والتماسك والوحدة. والقيم الأصيلة التي يرجع مصدرها إلى قوة العادات والتقاليد في المجتمع العربي هي قيم المشاركة في حفلات المسرات ومناسبات المأتم كحفلات الزواج والمهر ومناسبات الحزن والتشييع والبكاء على الموتى، وقيم مساعدة الجار ورعايته، وقيم احترام الكبير، والعطف على الصغير، وقيم الضيافة، والكرم، والنخوة، والشجاعة، وقيم احترام النساء ومعاملتهن بالحسنى[13].

ومن المصادر الأخرى للقيم الأصيلة في المجتمع المعطيات والظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي رافقت المراحل الحضارية التاريخية التي مر بها المجتمع العربي عبر مسيرته الطويلة. فالتزاوج بين الرواسب المادية وغير المادية التي ورثها المجتمع من العهود السابقة التي شهدها وبين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي عاصرها في ظل النهضة قد أدى دوره الفاعل في ظهور قيم جديدة كتحمل المسؤولية، وحب العمل الجماعي، واحترام العمل اليدوي، وتثمين الطبقة العاملة، والثقة العالية بالنفس، والصراحة، والتفاؤل، والنقد الذاتي، إضافة إلى بلورة وانتشار القيم الديمقراطية التي واكبت عصر النهضة والتحرير التي استوعبها الأفراد بعد أن أصبحت المرشد والموجه لسلوكهم اليومي. وتتجسد هذه القيم في أداء الواجب الوطني والقومي، وتخفيف الفوارق الطبقية، ومحاربة الاستغلال والاحتكار والتسلط، وتخفيف الفوارق الحضارية بين المدينة والريف[14].

ب- مراحل اكتساب القيم:

لا يولد الإنسان وهو مزود بالقيم المرغوب فيها، وإنما يتعلمها الإنسان من خلال تفاعلاته مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، إذ تبدأ عملية اكتساب القيم منذ مرحلة الطفولة،

وتستمر حتى آخر حياته. وتعد القيم المكتسبة في الصغر أكثر القيم رسوخاً وتمر عملية اكتساب القيم بمرحلتين، هما:

المرحلة الأولى :

وفيها تكون القيم مفروضة على الإنسان عن طريق المعايير التي يفرضها الوسط الاجتماعي بحيث يقبل الإنسان أنواعاً من التصرفات على أنها واجبات يجب أن يقوم بها، وأنواعا أخرى من التصرفات على أنها أخطاء يجب عليه أن يتجنبها.

المرحلة الثانية:

وفيها يبدأ الإنسان في الأخذ بسلوك خاص به على الرغم من أنه متأثر بالقيم المفروضة عليه من قبل وسطه الاجتماعي، وعلى ضوء ذلك يكون الإنسان تحول من تأسس الوازع الأخلاقي من سلطة خارجية إلى سلطة داخلية تقوم على الاقتناع والمسايرة[15].

- إن القيم كمعايير وأحكام على السلوك والنشاط هي في الأصل نتيجة ومعلول لنوع النشاط، ونمط الخبرة، والتجارب المادية المعاشة في علاقة الإنسان ببيئته المادية والمعنوية. أي أن القيم إفراز لنشاط اقتصادي اجتماعي معين وظروف وعلاقات معينة.
- وعندما تستقر هذه الظروف والأوضاع لفترة من الزمن – حالة تتبلور وتستقر معها القيم التي أفرزتها وتتحول في هذه الحالة إلى دوافع ذاتية للسلوك والنشاط، وفي نفس الوقت إلى أهداف وآمال لاستمرار تحقيق وتأكيد السلوك الذي أفرزها. سواء أكانت قيم إيجابية أو سلبية.
- فالقيم كمفاهيم تقويمية وأحكام ومعايير لا تفصح عن حقيقتها بالتعبير اللفظي والشعارات وإنما مجالها الأساسي هو السلوك والأفعال والتفضيل والاختيار.

- وهذا التقويم لا يتم في فراغ، وإنما يتأثر بالمحيط الاقتصادي الاجتماعي والسياسي والثقافي.

إن المواطنة أو الولاء والانتماء للوطن – ليست مجرد مفاهيم مجردة، وإنما هي في الأصل خبرة معاشة بين الوطن والمواطن. فعندما يستشعر المواطن من خلال خبراته أنه يعيش في ظل وطن يحميه ويدافع عن هويته ويحقق له الحد الأدنى من الرعاية مع العدل والكفاية، ففي هذه الحالة تتكون وتترسخ لديه قيم الانتماء والولاء للوطن يعبر عنها بالعمل البناء وبالجهد الخلاق وحتى بالموت دفاعاً عن هذا الوطن[16].

جـ – أهمية القيم بالنسبة للفرد والمجتمع:

إن القيم ضرورية لتحقيق السعادة للفرد والمجتمع، وتنظيم سلوك الناس، مما ييسر العيش الهادئ الكريم ويحفظ الحقوق، ويمنع الطغيان والاعتداء، فهي تعمل على تحقيق المجتمع المتعاون على الخير، وتجعل المسؤولية بين الفرد والمجتمع تبادلية وتضامنية ومتوازية، تحفظ للجماعة مصلحتها، وقوة تماسكها، وللفرد حريته، وبدون القيم تنحط الجماعة البشرية إلى مرتبة الحيوانية (البغيضة) ويكفي للتدليل على ذلك أن نتصور مجتمعاً خالياً من الصدق والأمانة، والإخلاص، والعطف على العاجز والفقير، وحب الخير، لاشك أن هذا المجتمع لا يمكن أن يستقيم له أمر.

فالقيم الموروثة هي مصدر استقرار نفسي لدى الأفراد والجماعات. فالحفاظ على كل ما هو إيجابي في التقاليد والعادات الموروثة يساعد على رفع المستوى الثقافي لدى المواطنين، ويزيدهم تعلقا بوطنهم، وبقيمهم الروحية. فالتخلي عن القيم الإيجابية في التراث العربي والإسلامي يجرد الشعوب العربية والإسلامية من سلاح ثقافي للتضامن الداخلي والوحدة الاجتماعية.ففي عصر العولمة ستكون الشعوب العربية والإسلامية في موقع الخاسر الأكبر في

حال تخلت عن قيمها التي تحصن الأجيال الجديدة من الشباب في مواجهة عولمة همجيـــة لـــم يحصد منها العرب والمسلمون سوى خيبات أمل متلاحقة.

ليس من شك في أن القيم تساهم في تعزيز الوحدة الداخلية فـــي المجتمعـــات العربيـــة والإسلامية وتلعب دوراً مهما في الحفاظ على العادات والتقاليد الإيجابية الموروثة.

إن القيم التي ندعو للمحافظة عليها من الاختراق هي القيم التي يحض عليهـــا الـــدين، والتي تتصل بأمور غير مادية مثل الشرف، الوفاء، والصدق، والتعاون والتضامن والتكامـــل، والطاعة والإيثار والتسامح، والعدل والعفة، والإحسان، والمحبة، وهي قيم تتجه نحو مصـــلحة الجماعة وسعادتها ورفاهيتها، وتغليب مطالبها على مطالب الفرد الأنانية، وبسبب ســـمو القـــيم نجدها بيد الإنسان وترفعه وتلهم العقل وتهذبه وتوجهه.

علما بأن القيم الأصيلة أو الايجابية تتجسد في الشجاعة والإيثار والبطولة والثقة العالية بالنفس والنقد والنقد الذاتي والصبر الطويل والتعاون والأيمان والمبدئية والموازنة بين الحقـــوق والواجبات والتكافل والشهادة في سبيل الوطن وحب الأمة عربية والتضحية بكـــل شـــيء مـــن أجلها[17].

وبسبب أهمية القيم عند الأفراد والمجموعات، نجد أن الصراع حولها يمثل صراعاً حول الوجود ذاته. فعلى سبيل المثال، فإن فقدان موضوع معين قيمته يعني زوال ما يرتبط بـــه مـــن محفزات؛ وفي بعض الحالات ومع بعض الأشخاص تفقد الأشياء كلها قيمتها تحت وطأة ظروف معينة، وبهذا فإن الحياة نفسها تفقد طعمها عند ذلك الشخص وتصبح حياته بلا معنـــى. ويمـــر المرء بمرحلة اليأس الشديد حينما تتساوى في نظره الأمور مما يدعوه إلى أن يجد أن شـــيئاً لا يستحق منه العناية والاهتمام، وربما أدى به ذلك إلى محاولة التخلص من الحياة ذاتها.

ويمكن القول بأن للقيم وظائف هامة في تربية النشء منها:

1- تدفع الشباب إلى العمل، فالقيم مواقف في الحياة ترتبط فيها الكلمة بالفعل وهذا الارتباط بين الكلمة والفعل يجعل الكلمة خلاقة لأعمال إيجابية كثيرة.

2- تجعل العمل أساس القيمة، فلا الجاه، ولا الثروة، ولا اللون يصلح في نظر القيم لتقييم أو لتقويم الإنسان.

3- تحدد المستوى الأخلاقي في العمل مهما تكن طبيعة العمل الذي يقوم به الإنسان في خدمته لمجتمعه.

4- تحول بين الإنسان والانحراف لأنها تحفظ المستوى الأخلاقي.

5- تعمل على تحقيق المجتمع المتعاون.

6- ترسي مبدأ العدل (المطلق) بين البشر لأن ذلك يتفق مع إنسانية الإنسان وكرامته.

7- تعد خط الدفاع الأول في مقاومة طغيان الفلسفات اللادينية الوافدة.

8- تحقق التوازن بين قوى الخير والشر اللتين تتنازعان الإنسان.

وتكمن أهمية القيم في ارتباطها عند البشر بمعنى الحياة ذاتها؛ فالقيمة ترتبط بدوافع السلوك المبنية على هدف معين يسعى المرء إلى تحقيقه. ولو افترضنا أن موضوعاً معيناً فقد قيمته عند الشخص فإن حماسه سوف يضعف وتفتر معه الهمة ويكف عن السعي إلى ذلك الموضوع؛ وربما يتجه إلى ما سواه من الأمور التي لها قيمة عنده. والحقيقة أن انتقاء الفرد قيمة معينة إنما هو محكوم بقيم المجتمع الذي يعيش فيه سواء تابعهم أو عارضهم. لأن المرء في بحثه عن القيمة يتأثر بما لديه من قيم مكتسبة مع التنشئة الثقافية(acculturation) ، فلا يستطيع الخروج – في الغالب – عمّا في عقيدته ممّا يكون وما لا ينبغي أن يكون.

ويمكن القول كذلك إن التغيير المادي يحتاج إلى تغير قيمي يواكبه لكي يتطور المجتمع نحو الأفضل، وهذا ما يؤكد عليه المخططون التربويون والاجتماعيون عند قيامهم بعملية التخطيط من أجل التنمية فبقدر اهتمامهم بالجانب المادي يهتمون بالجانب القيمي أيضاً.

2- ماهية العولمة:

العولمة في الاصطلاح : تعني اصطباغ عالم الأرض بصفة واحدة شاملة لجميع أقوامها، وكل من يعيش فيها وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار الأديان والثقافات والجنسيات والأعراف، ويعرف عدد من الكتاب العولمة بتعميم نموذج الحضارة الغربية – خاصة الأمريكية – وأنماطها الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله[18].

ويرى آخرون أن العولمة تشير في جوهرها وحقيقة أمرها إلى أمركة العالم، وإن عملية أمركة العالم أو تغريبه لا تكون إلا باختراقه، فيعرف محمد عابد الجابر العولمة : هي طموح، بل إرادة لاختراق الآخر، وسلب خصوصيته، وبالتالي لنفيه من العالم.

فالعولمة **(Globalization)** تعني عدة أشياء لعل أهمها أفكار وممارسات ذات طابع دولي تريد الانتقال من دولة أو دول المركز إلى دول المحايدة أو الدول التابعة لها وبخاصة تلك التي تقع في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية والجنوبية[19]. وهناك تعريف آخر للعولمة مفاده ظاهرة مبنية على صفة الكونية والشمولية، هذه الصفة التي يحاول قادة ومروجو العولمة نقلها وتمريرها إلى أصقاع وأماكن أخرى تتسم بالتخلف والسكون والجمود[20].

إن العولمة كظاهرة سياسية واجتماعية واقتصادية تتميز بصفات أساسية يمكن تحديد أهمها بالنقاط الآتية:

1- تسعى العولمة إلى تبني نظام اجتماعي وسياسي واقتصادي تدعمه الرأسمالية والشركات متعددة الجنسيات ويقوم على الأرباح وتراكم الثروات في دول المركز[21].

2- تقوم العولمة على العلاقات غير المتكافئة بين دول المركز ودول المحيط، إذ أن دول المركز هي التي تصدر الإيعازات والأوامر، بينما دول المحيط تنفذها حالا وبدون تردد أو تلك[22].

3- لا تتقيد العولمة بالإجراءات السياسية التي تتخذها دول المركز نحو دول المحيط فحسب بل تذهب إلى أبعد من ذلك إذ تتجاوز الترتيبات السياسية إلى الترتيبات الثقافية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية[23]. هذه الترتيبات أو الإجراءات التي تخدم مصالح دول المركز أكثر مما تخدم مصالح دول المحيط.

4- تعتمد العولمة أسالياً للتغلغل في قضايا وشؤون الشعوب والتأثير فيها منها الغزو الثقافي والثورة المعلوماتية والحاسوب ونظم الاتصالات الحديثة وتقنيات الأعلام الدولي وسرعة نقل الأخبار والأحداث[24].

5- تستعين العولمة بشعارات ونعوت مغرية وبراقة وجذابة تستطيع أن تغلف من خلالها جوهرها الحقيقي القائم على النهب الإمبريالي والاستعمار والاستيطان والاستهتار بكرامة ومقدرات وأماني الشعوب والأوطان. ومن هذه الشعارات والنعوت البراقة الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والنظام الدولي الجديد والشرعية الدولية[25].

أ- بعض أساليب العولمة:

ويمكن الإشارة إلى بعض الأساليب التي تستخدمها العولمة في الاختراق القيمي:

– القنوات الفضائية التي تطلق العنان للمناظر التي تخدش الأخلاق، فالغرائز موجودة في الإنسان، وليست بحاجة إلى من ينفخ في جذوتها، بل بحاجة لمن يحد منها، ويحفظها في حدود الفطرة التي فطر الله الناس عليها[26].

– محاولة اصطياد بعض الممارسات الخاطئة التي يقوم بها بعض المسلمين والعمل على تضخيمها والاستدلال بها على تخلف المسلمين ودمويتهم وهمجية طقوسهم.

– لعبت المنظمات الغربية دوراً كبيراً في صياغة وثيقة حول الطفولة من خلال القمة العالمية عام 1990 تحت عنوان (C.R.C) تضمنت بنوداً تتصادم مع الحضارة العربية الإسلامية، ومن شأنها تهديد مؤسسة الأسرة، ومن البنود التي تهدد الأسرة:

* ما يطلق عليه حق الطفل في الحصول على أسرة بديلة، إذا تعرض للتأديب والضرب من أحد والديه.

* ألزام الدول بتسجيل المواليد، سواء جاءوا بطريق الزواج الشرعي، أو خارج هذا النطاق، بما يعني التشجيع على الممارسات الجنسية غير المشروعة.

* ضرورة منع الزواج المبكر الذي يعدّه الإسلام أمراً مرغوباً فيه، لتحصين الشباب والفتيات ضد الانحراف.

* محاولة المنظمات الغربية إدخال الشباب والمراهقين ضمن بنود وثيقة (C.R.C) وإعطاءهم ما يسمونه بالحقوق الجنسية، خارج نطاق الزواج الشرعي.

* تصدير الأفكار: يقرر نورمان جونسون Norman Jonson أن الصادرات الأمريكية ليست أجهزة وبرادات وعربات فقط، لكنها أفكار أيضاً. وعندما تبدأ تصدير الأفكار والفلسفات والسلوك وطرق المعيشة فإن هذا يصبح هجوماً على ثقافات الغير. ومن ثم فالثقافة الأمريكية هي الثقافة العالمية التي يجب أن تنتشر في العالم لما تحمله من ثقافات عصرية متنوعة.

ومن هنا فإن تغيير شخصية الإنسان واختلال العلاقات العائلية، وتغيير منظومة القيم، وتهميش الثقافة المحلية والوطنية هو نتاج لهذا الزخم الثقافي الوافد، وتقبل ثقافة الآخر والهرولة نحوه، حيث أصبح يمثل رموزاً مكانية تتأصل بفعل القوة المتدفقة في ظل غياب جهاز المناعة بالداخل. ففي الوقت التي تنتعش فيه صناعة الأفلام في هوليود وتحقق أرباحاً عالية وفوائد بالمليارات تتراجع فيه صناعة الأفلام في بلاد العالم خاصة النامي إزاء المنافسة الأمريكية.

ب- بعض الآثار السلبية للعولمة:

تتعرض المجتمعات العربية إلى تغيرات متسارعة متلاحقة، اجتماعياً واقتصادياً وتكنولوجياً وثورة في المعلومات، كما تتعرض إلى غزو فكري وثقافي اهتزت على أثرها قيمنا واضطربت وتغيرت، وأصبحنا نقبل دون وعي على أنماط الحياة الغربية " فحدثت تغيرات قيمية فرضتها الحداثة العالمية، فأوجدت تناقضات في البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما أدى إلى خلل في نظام القيم العربية فأفسدت تماسكه وترابطه، وأفقدته القدرة على توجيه سلوك الأفراد والجماعات كمعيار لتقييم سلوك الأفراد، وأفقدت الأمة العربية ملامح هويتها وكيانها.

ويبدو أن مظاهر انحراف الشباب هي حصاد منطقي، للمتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي حدثت في المجتمع الليبي، ونتائج حتمية لظاهرة العولمة والتيارات الفاسدة التي هبت على مجتمعنا الإسلامي من مستنقع الحضارة الأوربية، والأمريكية، وما صاحب هذه التيارات من مبادئ وأفكار إلحادية، تهدف بالدرجة الأولى إلى اقتلاع جذور الإيمان من قلوب المسلمين، وإصابتهم بالضعف والتفكك والانحلال، ومن الأفكار الإلحادية التي تنقل عبر شبكات الإنترنت أو تبث من بعض القنوات الفضائية الغربية، الشذوذ الجنسي، والأفلام التي تخدش الأخلاق لإصابة الشباب بالانحلال الأخلاقي، وتشكيك الشباب في الإسلام.

ومن الأخطار الاجتماعية الأخرى للعولمة التي تصيب الدول والمجتمعات النامية التي تسيطر عليها تفكيك القيم الاجتماعية السائدة فيها وتحويلها إلى قيم سلبية من شأنها أن تؤثر في السلوك الاجتماعي إذ تحوله من سلوك عقلاني إلى سلوك غريزي وعاطفي.

فالعولمة عن طريق هذه الوسائل تتعرض للقيم الأصيلة التي تعتمدها الدول والمجتمعات النامية كالصدق والأمانة والتفاؤل والثقة العالية بالنفس والتعاون والصراحة والنقد والنقد الذاتي والموازنة بين الحقوق والواجبات والإيثار والتضحية في سبيل الآخرين والإخلاص في العمل وتحمل المسؤولية الجماعية والشجاعة والبطولة والإيمان. وتحاول أن تغيرها إلى قيم هشة ومذبذبة تؤثر سلباً في سلوك الأفراد والجماعات. ذلك أن السلوك يتحول بعد تفتيت القيم وتفككها إلى سلوك ملتوي ومضلل ومخادع، سلوك نفعي وانتهازي ومذبذب له أضراره على الإنسان والمجتمع على حد سواء. ومثل هذا السلوك يخدم أغراض العولمة إذ يمكن المستعمرين من الهيمنة على المجتمعات التي تسيطر عليها[27].

ولا تكتفي العولمة بالتعرض للقيم الأصيلة عند المجتمعات النامية فحسب بل تذهب إلى أبعد من ذلك إذ تجلب معها عن طريق قنواتها الإعلامية والاتصالية والتأثيرية قيما سلبية جديدة تعمل على إضعاف وتفكيك وتداعي المجتمعات التي تدخل إليها. ومثل هذه القيم السلبية التي تحملها العولمة إلى الدول والشعوب المستهدفة تتمثل في الكذب والغش والتضليل والخداع والمراوغة والتسويف والترويض وازدواجية المقاييس والمعايير والأنانية وحب الذات والجبن والتحيز والتعصب والطائفية والإقليمية والطبقية والعنصرية والتخنث والتبرج والميوعة.

مثل هذه القيم السلبية التي تنشرها العولمة في الدولة أو المجتمع النامي الذي تسيطر عليه تؤثر سلبا في السلوك والممارسات اليومية، إذ تحولها إلى ممارسات ملتوية ومضللة وانتهازية تجلب التخلف والضياع والتداعي للمجتمع أو الشعب الذي تدخل إليه. ومثل هذا

التخلف والضياع والتداعي يمكن العولمة من تحقيق أهدافها الإقليمية والتوسعية والاستغلالية المقيتة.

جـ – بعض الأمثلة التي توضح الآثار السلبية للعولمة:

- في دراسة أعدها مركز دراسات المرأة والطفل بالقاهرة بجمهورية مصر العربية على (1472) فتاة وسيدة مصرية، تبين أن الأفلام التي يشاهدنها : (85%) أفلام جنس، (75%) بها مشاهد جنسية، و (85%) أفلام عنف وحروب، (23%) أفلام نصب،(68%) أفلام عاطفية قديمة وحديثة، (21%) أفلاماً أخرى، (6%) فقط من عينة البحث يشاهدن نشرات الأخبار وبرامج ثقافية وترفيهية، ولم يذكرن الأفلام العلمية، لأنها لم تنل منهن أي اهتمام يذكر[28].
- الليبيون ينفقون الملايين من الدينارات سنوياً على مكالمات المحمول، الذي أصبح يستخدم للوجاهة الاجتماعية والأمور التافهة وليس للاتصال. وهذا مثال على السفه الاستهلاكي.
- الانحلال الأخلاقي، الشذوذ الجنسي، العنف، الغش، اللامبالاة، الكذب، والتبرج والميوعة.
- انتشار بيع المخدرات وتعاطيها، وإباحية وطغيان ثقافة السلع التافهة، وتآكل الأسرة، وطريقة التعامل مع المسنين، وتراجع الوقت الذي يقضيه الإنسان مع أطفاله وزوجته، وكثرة الأمراض النفسية، وتزايد العنف والجريمة في المجتمعات التي يقال لها متقدمة، وخاصة انتشار الفلسفات العدمية، وفلسفات العنف والقوة والصراع، وتزايد الإحساس بعدم المقدرة على معرفة الواقع، وكثرة حوادث السير والعمل، وأخيراً تزايد الإحساس بالاغتراب، والضغوط النفسية، والوحدة.

د- طبيعة الاختراق القيمي :

إن الصراع على القيم في جوهره هو اختلافٌ على المصالح والرؤى وامتلاك الأفضلية، والتفوق الحضاري الذي يشمل تفوقاً فكرياً وتكنولوجياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً سيفرض حتماً تفوقاً قيمياً لصالحه. هذا ما يعلّمنا إياه التاريخ، ولا يبدو أن الواقع المعاصر يشذُّ عن تاريخه، لا بل يصدقه ويؤكده.

لقد قال العالم الاقتصادي والسياسي المغربي المهدي المنجرة في حوار مع رويترز "الناس لا تذهب إلى الحروب من أجل مصالح اقتصادية وإنما من أجل القيم التي يريدونها أن تهمين على العالم." وأضاف في هذا الصدد "حوار شمال جنوب غير ممكن لان الشمال لا يمكن أن يقبل بقيم أخرى غير قيمه.. وجورج بوش الأب عندما أعلن الحرب على العراق سنة 1991 قال لا اقبل أن يكون هناك أحد يغير حياتنا وقيمنا."

إن الهويات والخصوصيات هي الضحية الأولى للعولمة، وقد بدأت اللغة والهوية تواجه تحديات العولمة منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي.

وترتبط بهذه الظاهرة مجموعة من السمات والخصائص أهمها:

1- تعد ظاهرة الاختراق القيمي تكريساً لأيديولوجيا الفردية المستسلمة كما تريدها الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل الآخر، وهي تقوم على مجموعة من الأوهام منها، الفردية والتي تستهدف جعل الإنسان يعتقد أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وأن كل ما عداه لا يعنيه، مُخرِّباً وممزقاً الرابطة الاجتماعية، تلك الرابطة التي تجعل الإنسان يعي أن وجوده إنما يكمن في كونه عضواً في جماعة، وينتمي إلى أمة معينة. والوهم الثاني الخيار الشخصي وهو يجيء تكريساً للوعي الأناني، ويعمل على طمس الوعي القومي، والوهم الثالث الحياد؛ فما دام الفرد وحده الموجود، ومادام حراً مختاراً، فهو محايد، وكذلك كل الناس والأشياء محايدون بالنسبة لهذا الفرد، ومن ثم فليس هناك التزام بأية قضية جماعية. وهذا يجيء تكريساً ودفعاً للأمور في

اتجاه الفردية والأنانية. والوهم الرابع الاعتقاد بأن الطبيعة البشرية لا تتغير بهدف صرف الأنظار عن رؤية الفوارق بين الأغنياء والفقراء، وبين الأجناس، وقبولها بوصفها أموراً طبيعية، وبالتالي تكريس الاستغلال والتمييز العنصري. والوهم الخامس غياب الصراع الاجتماعي ويأتي هذا الوهم تتويجاً للأوهام السابقة مستهدفاً الاستسلام لكل أشكال الاستغلال من شركات ووكالات وطبقات وأقليات متسلطة، وبمعنى تعطيل النضال القومي، وغلق الأبواب أمام آفاق التغيير نحو الأحسن.

2- يستهدف الاختراق القيمي إخضاع النفوس، ويستهدف العقل والنفس كأدوات لتفسير الماضي، وتأويل الحاضر، والتشريع للمستقبل، وعلى أساس أن الاختراق القيمي حل محل الصراع الأيديولوجي في الوقت الراهن، والذي كان يقوم أساساً بعملية التأويل والتفسير والتشريع، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في نهاية ثمانينيات القرن الماضي.

3- يستهدف الاختراق القيمي تسطيح الوعي، والسيطرة على الإدراك وجعله يرتبط بما يجري على السطح من صور ومشاهدات ذات طابع إعلامي مثير للعقل حاجب للعقل، من خلال الوسائل السمعية والبصرية والتكنولوجيا المتقدمة التي يمتلكها المُخترِق دون الآخر.

4- يستهدف الاختراق القيمي تعطيل فاعلية العقل، وتكييف المنطق والقيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك، وتكريس نوع معين من الاستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع، وإحداث نوع من الاستتباع الحضاري، وتكريس نمط استهلاكي ترفيهي، وقمع المجتمع الإنتاجي.

5- ويمكن القول بأن الاختراق القيمي يهدد هويتنا وقيمنا، وينعكس بالسلب على وحدة مجتمعنا وتماسكه أمام الآخر، ونقاء قيمنا الإسلامية والعربية الأصيلة، ويهدف إلى أن يجعل كل نشاط غير ذي معنى أو قيمة.

6- تكييف المؤسسات الاجتماعية في البلدان النامية لتشجيع انتشار الأفكار والقيم السائدة في النظام الرأسمالي العالمي لتكون قوة ضاغطة ومؤثرة في القرار في البلدان النامية.

7- التأثير في الرأي العام والترويج لمفهوم الديمقراطية لبسط نفوذها وسيطرتها والترويج للقوة المؤثرة (الولايات المتحدة) كقوة وحيدة في هذا القرن.

8- إضعاف الوحدة الوطنية وخلق عوامل الضعف واليأس لدى الإرادة الشعبية.

9- تكريس الوضع بما يخدم مصالح معينة للكيان الصهيوني وأغراضه في تبعية الوطن العربي لإرادته، وتعد الحرب النفسية والدعائية من أهم وسائل الاختراق القيمي.

10- إن الاختراق يشكل خطورة أشد من خطورة التبعية، تلك التي تنتج عن الهيمنة الاقتصادية، والاستتباع السياسي، وذلك بحكم التقدم التكنولوجي الهائل، وتفوق البث الإعلامي والثقافي عبر الأقمار الاصطناعية لدى دول المركز، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية في الغالب بقيادة العالم، وتكريس استراتيجية ثقافية جديدة، تثقل كاهل الدول النامية، وليحل الاختراق محل الاستتباع[29].

دور المعلم في مواجهة الاختراق القيمي:

إن ليبيا كبقية الدول العربية ودول العالم الثالث تعاني من أزمة الاختراق القيمي، وأكبر دليل على ذلك انتشار المخدرات، والسرقات، والحوادث المتعددة والانحلال الخلقي، وكل هذا ناتج عن غياب القيم وعن الجهل الحقيقي بالدين وقيمه السمحة. فأمام هذا الوضع المزرى أصبح ضرورياً الرجوع إلى التشبع بالقيم الدينية والإنسانية التي تنظم الحياة وتضبط السلوكيات، وأكبر مساعد على تحقيق هذا الهدف هو المدرسة، التي تعتبر مجتمعا مصغراً للنشء، حيث يعمل المدرسون على تمرير القيم الدينية والإنسانية من خلال البرامج الدراسية لتحويلها إلى سلوكيات

ممارسة لدى أطراف العملية التعليمية التعلمية ولا يخفى قيمة المدرسة في مجتمعنا باعتبارها مركز إشعاع.

ولذلك ندعو كافة التربويين والمعلمين إلى تفعيل أدوار الحياة المدرسية وإلى ضرورة العمل على التربية على القيم القائمة على مرتكزات ثابتة مثل: مبادئ العقيدة الإسلامية، وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة، والصلاح، والمتسم بالاعتدال، والتسامح، والشغوف بطلب العلم والمعرفة في أرحب آفاقها، والمتوقد للاطلاع والإبداع المطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع، التشبع بمبادئ المساواة وبروح الحوار وقبول الاختلاف، وتبني الممارسة الديموقراطية، واحترام حقوق الإنسان وتدعيم كرامته.

وغني عن البيان أن دور المعلم التربوي له علاقة وطيدة بالثقافة، وأن التعليم بحكم مهمته الثقافية ليس بعيداً عن عناصر هذه الثقافة، وما يتهددها داخلياً وخارجياً[30].

إلا أن المعلمين أصبحوا مطالبين – أكثر من قبل – بتحمل تبعاتهم ومسؤولياتهم الثقافية، وفق استراتيجية تتلاءم وحجم التحديات المعاصرة التي تواجهها ثقافتنا في هذه الآونة.

– إن تعريف المعلمين بمنظومة القيم يساعدهم على اتخاذها إطاراً مرجعياً لهم في مختلف المواقف التي تواجههم الاجتماعية والمهنية والتطورات التكنولوجية وتحديات العصر في المستقبل، دونما تأثر بالقيم السلبية التي تزاحم القيم الايجابية[31].

وفي الوقت الذي يعتبر فيه التعليم أداة رئيسة لمواجهة محاولات الاختراق الثقافي، نجد أن هذا التعليم بوضعه الحالي لم يعد قادراً على هذه المواجهة، بل صار مدخلاً من مداخل هذا الاختراق، الأمر الذي يستوجب إيجاد صيغة يتكامل فيها التعليم مع الثقافة، ليؤديا دورهما كاملاً في بناء المواطن، ذلك أن الوضع الحالي يفتقر إلى هذا التكامل وذاك التنسيق.

– ويمكن القول بأن هناك مجموعة من الأساليب التي يمكن أن يتبعها المعلم لتنمية قيم تلاميذه، وحمايتها من الاختراق منها:

– إتباع المثل الصالح (القدوة): ويتم هذا إما مباشرة كأن يسلك الناشئة مثل سلوك الكبار، على اعتبار أن سلوك الكبار مثالي، أو بطريق غير مباشر كأن يستمع الناشئة إلى قصص من الماضي أو من الحاضر عن منجزات تستحق الإشادة.

– الإقناع : ويتم ذلك من خلال تناول الأدلة والقرائن التي لا يستطيع أحد إلا أن يتقبل وهو راضي لما يسمعه أو يقرأه وهذه الأدلة وما في حكمها تقلل من فكرة أو رأي مضاد.

– سيطرة القوانين : ويتم هذا الأسلوب بفرض قوانين معينة على الطلاب تحتم عليهم الأخذ بسلوك ما وبصورة مستمرة، وتتم عليهم المراقبة؛ وذلك لكي يتصرفوا تلقائياً بالصورة المرجوة، كأن يسلك طلباً في ثواب.

– سيطرة الأصول الدينية والثقافية: ويعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب؛ لأنه سريع التأثير، فيتطلب من المعلم أن يوضح لتلاميذه أن الدين يأمر بكذا أو ينهى عن كذا، وهو على درجة من الالتزام الديني حتى يستجيب ويتقبل ما يقال له.

– اللجوء إلى ضمير الفرد : ويتم هذا الأسلوب من خلال الاحتكام إلى ضمير الطالب الذي يحاسبه على اقتراف الخطأ باعتبار الضمير الإنساني قوة داخلية تحاول تنقي سريرته وتصقل أقواله وأعماله[32].

– المحاضرة : ويتم هذا الأسلوب من خلال اللقاء مع الطلاب وتقديم المعلومات اللازمة لهم عن القيم التي يفترض عليهم اكتسابها عبر المقررات الدراسية.

– المناقشة والحوار: ويتم هذا الأسلوب عبر تفاعل متبادل بين المعلمين والطلاب حول موضوع معين بهدف تدريب الطلاب على الايجابية في التعليم، مثل : تقوية الحجة لديهم وتعويدهم على المواجهة والثقة بالنفس.

– استخدام القصص العلمية: وذلك بعرض قصص عن موضوعات معينة؛ بقصد تنمية الخيال العلمي لدى الطلاب، ولفت انتباههم إلى ما فيها من عبر ومواعظ.

– بالإضافة إلى أساليب أخرى، مثل: لعب الأدوار في الألعاب التربوية والتمثيليات، وطريقة المشروع والتي تتطلب إنجاز عمل جماعي بحيث يكون لكل فرد دوره في التخطيط والتنفيذ والتقويم والقيام بالرحلات وانتهاز المناسبات؛ وذلك لتدعيم قيم مرغوب فيها[33].

– التوسع في الأنشطة المصاحبة للمنهج التي تساعد على نمو الشخصية وتنمية الميول والمواهب.

– تجديد الأسلوب وطريقة الشرح مع المستجدات لربط الطلاب بأمتهم.

– ربط المنهج بما يمس قضايا الطلاب، خاصة مشاكل المراهقة وإرشادهم وتوجيههم.

– أن يراعي المعلم حالته النفسية؛ لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً على مادته، فيتوجه الطلاب بالكره أو الحب لما يقال، حتى لو كان دعوة إلى التمسك بالأخلاق والقيم.

– لابد للمدرسة من العمل على تطوير برامج وآليات وأطر خاصة لتنمية وتعميق قيمة الانتماء بين الطلبة والمعلمين، إذ أن هذه القيمة تتحقق بممارسة الانتماء بالتزام واعتزاز ومحبة للوطن وللمجتمع والمدرسة كمؤسسة تربوية.

– توسيع مدارك الطلاب وتهيئتهم للاندماج في المجتمع، فيقدم المعلم المبتكر والجديد من الأنشطة غير الصفِّية "مثل الخطابة، والعلاقات العامة، والفنون، والرياضة، وزيارة المصانع، والشركات".

– من الأنشطة الإشراف على جماعات الأنشطة لتربية الطلاب على الفنون الإدارية مثل جماعة التوعية الدينية، والصحة المدرسية، والمكتبة، والمسرح، والعلوم، وغيرها.

– رفع درجة الوضوح والمتابعة والمصداقية والشفافية في التعامل مع القيم في المؤسسات التعليمية، وعلى الصعيد الإداري في التعامل مع الطلبة.

– التربية العملية، كزيارة المريض من الطلاب، أو مشاركته في المناسبات السعيدة أو الحزينة، مما يساعد المعلم في تقويم السلوك وتوعية الغافل وحل المشكلات وتقوية الصلات.

– توجيه 5 دقائق في الحصة عبارة عن جزء من مشروع متكامل على مدار السنة تعايش قضايا الأمة والأحداث الجارية لإحياء شعور الأمة الواحدة، أو مشكلة اجتماعية، أو ظاهرة أخلاقية، وهكذا.

– أن تكون هناك معارض دائمة بالمدرسة خاصة حول بعض القضايا الهامة مثل آثار التدخين والمخدرات.

– تقسيم الفصل إلى مجموعات تسمى على أسماء الصحابة أو الأبطال أو العلماء أو الأحداث المهمة.

– نرى أن سلوك المعلم يجب أن يكون نموذجاً يحتذي به الطلاب، ونؤكد على أن سلوك المعلم يأتي قبل قدرته المعرفية.

– يتطلب من وزارة التربية والتعليم أن تسعى إلى تعزيز المشاركة في المبادرة والتخطيط والتنفيذ والتقويم وبناء المواقع والآليات والقدرات للتأثير والتغيير لدى المعلمين.

– إن القيم والمبادئ منظومات متطورة ومتغيرة يقوم التثقيف لها على أسس الحوار، وتيسير متطلبات النمو الشخصي.

خاتمة:

هدفت الورقة الحالية التعرف على تأثير العولمة في منظومة القيم، ودور المعلم بأساليبه وممارساته في مواجهة الاختراق القيمي. وتم تناول الاختراق القيمي، وتحليل أبعاده وآلياته، في ظل العولمة وأهم التحديات التي تساعد على ترسيخه، وعوامله الضاغطة، وطبيعة علاقته بالمعلم والتعليم، وأهم التوجهات والمنطلقات الاستراتيجية التي يمكن الاستناد إليها في عملية المواجهة تعليمياً. وتمت الإشارة إلى مصادر القيم، ومراحل اكتسابها، وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع، وماهية العولمة، وسماتها وخصائصها، وبعض أساليب العولمة المستخدمة في الاختراق القيمي، والآثار السلبية لها، ودور المعلم في مواجهة الاختراق القيمي، والأساليب التي يمكن أن يتبعها المعلم لتنمية قيم تلاميذه، وحمايتها من الاختراق.

ويمكن الإشارة إلى أهم التوصيات والمقترحات:

1- إجراء البحوث والدراسات العلمية التي تشخص القيم الأصيلة كالأيمان والصدق والإخلاص في العمل والصبر والثقة العالية بالنفس والتعاون والشجاعة والإيثار. هذه القيم التي يمكن أن تتصدى لتيار العولمة وتقف في وجهه.

2- ضرورة محاربة القيم السلبية والضارة التي تحاول قنوات العولمة نشرها بين أبناء الأقطار المستهدفة لكي لا تؤثر سلبا وتعمي قلوبهم وعقولهم.

3- ضرورة ربط القيم الأصيلة بالتراث الحضاري للأمة العربية الإسلامية وربط القيم الضارة والدخيلة بالعولمة والدول التي تتبناها لكي يلتزم أبناء امتنا بالقيم الأصيلة واعتمادها في حياتهم الخاصة والعامة، ويتخلون في الوقت ذاته عن القيم الدخيلة أو الضارة والابتعاد عنها.

4- ضرورة التمسك بهوية أمتنا العربية الإسلامية والاعتزاز بتراثها الحضاري الخالد. علما بأن التمسك بالهوية القومية والإيمان بالدور الأساسي للإسلام والاعتزاز بالشخصية

العربية إنما يمنح الشباب العربي الحصانة المبدئية والقيم الأصيلة والروح الاقتحامية التي ترفض الاستسلام والتبعية والذيلية للعولمة ودعاتها ومروجيها الذين لا يريدون خير الأمة العربية وسيادتها وتقدمها في المجالات كافة.

5- زرع القيم الايجابية والأصيلة عند الأفراد منذ بداية حياتهم لكي تؤثر في شخصياتهم وأدوارهم الوظيفية لكي تكون فيما بعد القاعدة الأساسية التي تستند عليها الحصانة المبدئية التي تقي الأفراد والجماعات من شرور العولمة وسلبياتها وتشويهاتها القيمية والسلوكية لكي لا تؤثر العولمة على النسيج الاجتماعي للمجتمع العربي وتخرب القيم وتسيء إلى الممارسات والتفاعلات الاجتماعية للأفراد والجماعات.

6- ضرورة اهتمام الجماعات المؤسسية كالأسرة والمدرسة والجامع ووسائل الأعلام بالأساليب القويمة للتنشئة الاجتماعية، تلك الأساليب التي تصب القيم الأصيلة في عروق الأفراد منذ بداية حياتهم وتحثه وترشدهم في الوقت ذاته إلى التخلي عن القيم الضارة ومحاربتها كلية في المجتمع، وإذا ما حدث هذا فان دعاة العولمة ومروجيها لا يستطيعون اختراق عقول وضمائر أبناء المجتمع العربي، وبالتالي تفشل العولمة في تحقيق أهدافها وبرامجها في الوطن العربي.

7- ضرورة قيام التعاون والتنسيق بين الجماعات المؤسسية التي ينتمي إليها الأفراد لكي توحد سياساتها وبرامجها التربية والتهذيبية والإرشادية الخاصة ببناء الشخصية القويمة التي تؤمن بالقيم الأصيلة والإيجابية لتكون المهماز الأساس لحماية الأفراد والجماعات من أخطار العولمة وشرورها.

8- إقامة وحدات الإرشاد الأكاديمي بكليات التربية وإعداد برامج متنوعة توعوية للطلاب المستجدين بهذه الكليات، يكون من أهدافها نشر الثقافة والمحافظة على القيم الأصيلة

التي يحتاج لها الطلاب الجامعيون (الطلاب المعلمون) وتشجيعهم على تفعيلها في المواقف التي تصادفهم سواء داخل أو خارج الكلية، وأن تتعرف وحدات الإرشاد الأكاديمي بالكليات على الطلاب الذين يعانون من ظروف نفسية واجتماعية ووظيفية والعمل على وضع الحلول للتغلب على هذه الظروف.

9- توثيق الصلة بين وسائل الإعلام والخبراء التربويين؛ وذلك لعمل برامج إعلامية نافعة للمجتمع تتناول الموضوعات التي تتعلق بالثقافة القيمية بصورة علمية مبسطة.

10-إقامة دورات تدريبية أو حلقات نقاشية بصفة دورية لأعضاء هيئة التدريس تتناول أبرز المشكلات التي يتعرضون لها في تعاملهم مع طلابهم وقد تعيق قيامهم بأدوارهم وتعريفهم بأساليب تنمية القيم.

11-إقامة ملتقيات دورية للقيادات الإدارية بإدارات التعليم بالبلديات؛ لتبادل التجارب والخبرات في موضوعات عدة،ومنها موضوع المحافظة على القيم.

12-إعادة النظر في الخطط الدراسية المعمول بها بكليات التربية بحيث تشتمل على مقررات أو موضوعات في هذه المقررات تتعلق بالثقافة القيمية وكيفية مواجهة الاختراق القيمي.

13-مناقشة الطلاب بحرية تامة في موضوع القيم؛ وذلك للتعرف على الموجود والمفقود منها وتشجيعهم على تفعيلها في المواقف التي تواجههم وتقديم الحوافر المناسبة لهم.

- البحوث المقترحة :

- إعداد دراسة عن القيم المتوافرة لدى الطلاب ما قبل المرحلة الجامعية وذلك للتعرف على القيم السائدة والغائبة لديهم.
- إعداد دراسة تتبعية لطلاب كليات التربية؛ وذلك لمعرفة أثر برنامج إعداد المعلم بهذه الكليات عليهم.

هوامش البحث :

(1) السيد ياسين. الوعي التاريخي والثورة الكونية، حوار الحضارات في عـــالم متغيـــر، ط1، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة.1995،ص 194.

(2) محمود الذوادي: الوجه الآخر لعالم الرموز الثقافية، كما تعكسه سوسيولوجية غير عاديـــة. الوحدة، العدد 92،السنة الثامنة، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية،مايو 1992، ص3.

(3) المرجع السابق، ص 68- 72

(4) Davis , k. Human Society. The MacMillan co., New York , 1977 , p296. -

(5) Weber , Max The theory of Social and Economi Organization , The Free Press , New York ,1967, p.221

(6) عواطف عبدالرحمن.قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربـــي، دار الفكـــر العربـــي، القاهرة.1997، ص 13.

(7) Reading , Hugo.A Dictionary of the Social Sciences , Routledge and Kegan paul , 1984 p. 226.

(8) إحسان محمد الحسن. دور القيم الأصيلة في مواجهة السلوك المنحـــرف، النـــدوة العلميـــة لأتحاد الاجتماعية العرب، بغداد، 2001/12/26، ص3.

(9) Allan , D.M. Symmetrical Values In Changing Society , Macdonald Press , Gloasgow , 1990 , p.12.

(10) Ibid.,p24.

(11) سعد المغربي. التنمية والقيم.. مسلمات ومبادئ.مجلة علم النفس، العدد الســـابع، 1988، ص 6-7.

(12) انور العقاد. المجتمع العربي، حلب، مطبعة الشرق ،1975، ص 8.

(13) إحسان محمد الحسن. مقومات المجتمع الإنساني بحث منشور في كتاب " دراســـات فـــي المجتمع العربي "، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية ، عمان، 1985، ص21.

(14) المصدر السابق، ص 23.

(15) حمد الرشيد (2000م) " بعض العوامل المرتبطة بالقيم التربوية لدى طلاب كلية التربية بجامعة الكويت : دراسة ميدانية".المجلة التربوية، مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت 14(56)13-63.

(16) سعد المغربي. التنمية والقيم..مسلمات ومبادئ.مجلة علم النفس، العدد السابع، 1988، ص 7.

(17)- Allan , D.M. Symmetrical Values In Changing Society , Macdonald Press , Gloasgow , 1990 , p.12.

(18) عيد سعيد عيد إسماعيل، العولمة والعالم الإسلامي : أرقام وحقائق، مجلة النخبة، دار الأندلس الخضراء، ط 1،ج 5،2001/8/1

(19) Singh ,f.p.Globalism As A New pattern of Imperialism, London Thomes Press , 1995,p.12.

(20) Ibid., p. 27.

(21) Ivanov , K.Globalism , politics, and society, Moscow, Prorress publishers,1992 , p. 103.

(22) Ibid. , p. 112.

(23) - Ibid. , p. 120.

(24) Ibid. , p. 129.

(25) Ibid. , p. 133.

(26) محمد حمدي زقزوق: الإسلام في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 44.

(27) Jones , K.M. The Impact of Globalism on Values, London , The Evans Press , 1991 , P 89

(28) صالح الرقب، العولمة، الجامعة الإسلامية،www.aliman.org/awlama.htm

(29) محمود الذوادي: الوجه الآخر لعالم الرموز الثقافية، كما تعكسه سوسيولوجية غير عادية. الوحدة، العدد 92،السنة الثامنة، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، مايو 1992، ص3.

(30) محمد سيد محمد: الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. القاهرة،دار الفكر العربي،1994،ص 119–120

(31) Kyle,w.(1996) "African science and teaching -education towards The future ". journal of research in science teaching 33(4)343-344

(32) ضياء الدين زاهر (1984م) القيم في العملية التربوية. القاهرة : مؤسسة الخليج العربي.

(33) محمود عقل (2001م) القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية في دول الخليج العربية : الواقع – دليل المعلم. الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج.